للمدينة من جميع جهاتها بالبكاء والضجيج وبالدعاء والعجيج قال وأمر هذه النار عجيب وليس الخبر كالمعاينة وصار المسجد كالتنور ولم يبق الا قليل من
عشر درج وقد استولى الحريق على جميع سقف المسجد وحواصله وابوابه وما فيه من خزائن الكتب والربعات والمصاحف غير ما وقعت
المبادرة لأخراجه اولا وهو يسير وغير القبة التي بصحن المسجد وسبق ذكر سلامتها في الحريق الأول وكنت تركت كتبي بالخلوة التي
كنت اقيم بها في مؤخر المسجد فكتبت الي باحتراقها ومنها اصل هذا التأليف وغيره من التواليف والكتب النفيسة نحو ثلاث ماية مجلد
فمن الله تعالى علي ببرد الرضى والتسليم وفراغ القلب عن ذلك حتى ترجحت هذه النعمة عندي على نعمة تلك الكتب لما كنت اجده قبل من
التعلق بها فلله الحمد والشكر على ذلك هذا مع ما من الله به علي من غيبتي عن هذا الأمر المهول فاني قد كنت في ليلة الوصول الى الحرم المكي لم
يتفق لي منذ سكنت المدينة الخروج منها في رمضان بل كنت الازم المسجد النبوي فيه من اوله الى اخره ليلا ونهارا فكان ذلك سببا لسلامتي
من هذا الامر ولما اشتعلت النار في السقف المحاذي للحجرة الشريفة ذاب الرصاص من القبة التي بسقف المسجد الأعلى واحترقت اخشابها
وما يحاذيها من السقف الأسفل والشباك الداير على حاير عمر بن عبد العزيز الذي تعلق الكسوة به اعلاه وسقط ما سقط من ذلك على
القبة السفلى التي تقدم تجديدها فلما اصبحوا ابدوا بطفي ما سقط على القبة المذكورة واستمروا في ذلك الى اخر النهار فسلمت القبة المذكورة
مع ان بعضا من الحجر الأبيض الذي بسرح تاثر بالنار وذلك من المعجزات النبوية لان كثيرا من اساطين المسجد الشريف سقطت لما ذاب بعضها
رصاصها وتهشمت وهي من الحجر الأسود ومع ذلك تفتت كأنها احجار نورة وعدة ما سقط منها ماية وبضع وعشرون اسطوانا وما بقي
منها فقد اثرت فيه النار اثرا بينا وسلمت الأساطين اللاصقة بجدار الحجرة ايضا فالحمد لله على حماية الحجرة المنيفة المحاذية للقبور الشريفة و
احترقت المقصورة التي كانت حول الحجرة الشريفة والمنبر الشريف وما كان امام المحل المنيف بالروضة الشريفة من الصندوق
وما عليه من المحراب المتقدم وصفه وسقطت اكثر عمود المسجد وما بقي منها فهو ايل الى السقوط وسقط علو المنارة الرئيسية خوفا
من سقوط بعض ما بقي منها فهدموها بحو شلط وكتبوا الى سلطان مصر مولانا الأشرف سلطان الحرمين الشريفين قايتباي ايد الله انصاره
بذلك سادس عشر رمضان واقتضى رأي نايب الناظر سد ابواب حواصل المسجد حتى القبة التي بوسط المرصد فيها زيت مصابيحه وترك
الردم على حاله حتى ترد الأوامر الشريفة فتضرر الناس بذلك فاتفقت الآراء على تنظيف مقدم المسجد ما عدا ما جاور الحجرة الشريفة خوفا
على ما سقط من حلية قناديلها مع انها يسيرة لا يؤخذ مما سبق فعملوا على ذلك حاضر أمر الأجر ونقلوا هدم مقدم المسجد الى ما يلي باب
الرحمة من مؤخره وعمل في ذلك امير البلد والقضاة والأشراف وعامة الناس حتى الكثير من النسا والأطفال تقربا الى الله تعالى بغير اجرة
ولم تتأخر عن ذلك الا المخدرات من النسا وبنوا في محل المنبر منبرا من اجر وصلوا بالمصلى النبوي من حينئذ وعلو الأبواب المسجد غير باب
جبريل خوفا يدخل منها وسدوا ما زاد على ذلك ونصب الخدام خياما بالمسجد اذ لم يبق به ظل وصار بعض اهل الخير يسرج قناديل
متعددة من عنده في المسجد مع توفر الزيت بحاصله لكن تعذر ذلك بسبب سده واستمرت النار فيما لم ينقل هدمه من المسجد حتى فيما حول
الحجرة الشريفة وموقف الزايرين تجاه الوجه الشريف واخبر بعضهم بمشاهدة الدخان يتصاعد من ذلك المحل الشريف بعد مدة وفي اثنا شوال
اخبر قاضي المالكية شمس الدين السخاوي حفظه الله تعالى انه راى في النوم من يقول له اطفئوا النار من الحجرة الشريفة يعني الموضع الذي تركوا
تنظيفه حولها فتفقدوا ذلك فوجدوا النار في ثمانية مواضع فاطفئوا ذلك ثم راوا ان مادة هذه النار لا تنقطع الا بتنظيف الردم فجمعت
الآرا على ذلك بعد توقف نايب الناظر وعينوا النقاطيين يتقون بدن الخدام والفقرا والفقر وكان الصواب المبادرة لذلك اولا
ولكن على كل خير مانع ولا يدري احد اسرار الله في عباده صانع ولما نظفوا ذلك وجدوا احلية الصندوق المجعول في جهة الرأس الشريف
وجانبا من الكسوة وبعض البسط سالما لسقوط الردم عليه ووجدوا القناديل التي كان التخوف في تنظيف ذلك المحل لأجلها وادارا على الحجرة
الشريفة جدارا من الاجر في موضع المقصورة المحترقة وجعلوا فيها شبابيك وطاقات وابوابا وقوم بصرف ذلك بعض النسا المباركات وغيرها
وسامح البناؤن بنصف اجرهم مع توفر المصروف بحاصل المسجد الشريف واحرزت تلك المراة ايضا وغيرها كسوة للحجرة الشريفة من القماش

الأبيض

كتب المولف ... على اعتراف

الأبيض فجعلت عليها وفي ذلك لكل عبرة نافعة وموعظة عامة لأولي الأبصار وهو منذر بأمر عظيم ولهذا اختص به هذا المحل المنسوب الى
النبي صلى الله عليه وسلم وقد ثبت ان اعمال الامة تعرض عليه صلى الله عليه وسلم فلما ساءت منا الأعمال المعروضة ناسب ذلك الأنذار
باظهار عنوان النار المجازى بها في موضع عرضها ولم ازل في وجل مما يعقب ذلك حيث لم يحصل الاتعاظ والانزجار وقد قال تعالى
وما نرسل بالآيات الا تخويفا وقال تعالى ذلك الذي يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون وكأن لسان القدرة يناديكم افلا تعقلون
بما ترون وتسمعون الا تنتهون وتنزجرون الا ترون الى هذا المحل الشريف مع عظيم نسبته وعلو رتبته ومكانته لما تلوث باثاركم
معشر المذنبين وتدنس باقذاركم كافة الغافلين ارسلت عليه بحار من النار السماوية تطهره من تلك الآثار وتزجركم عن التمادي على
الأصرار وموالاة قبايح الأوزار وتشهد ببصاركم عموم القدرة فترسلون من الأبصار سوابق العبرة تاسفا على ما اجترحتموه من
هذه الجرائم فمن لم يتنبه بهذا الزاجر الفعلي عن اصراره ولم يقتبس من هذه النار العظيمة قبسا يهتدي بأنواره فلينظر فيما
حدث عقب حريق المسجد القديم ويتفكر في ضعفه عن احتمال العذاب الأليم اعاذنا الله من ذلك وسلك بنا اجمعين احسن المسالك
ومن العجايب انه لم تات اخراج ردم الحريق بعد نقله لمؤخر المسجد حتى حضر الحجاج من سائر الآفاق للزيارة وشاهدوا اهله العبرة
العظيمة وراوا ما اجتمع من الردم كالآكام والتلول الجسيمة ثم قبيل دخول الحاج مكة بالقعدة الحرام من العام الثاني ارسل الله سيلا عظيما
بمكة المشرفة ملأ ما بين الجبلين وعلا بجدار ابواب المعلاة ودخل جوف الكعبة الشريفة وارتفع فيها ازيد من قامة وهدم دورا كثيرة
يقال انها تزيد على الفي دار وذهب بسبب ذلك من الأموال والأنفس ما لا يحصيه الا الله تعالى حتى انهم ضبطوا من وجد تحت الردم
بالمسجد الحرام فقط عند تنظيفه فكانت عدتهم نحو الثمانين وقيل ازيد من ماية ولم اقف فيما نقل من سيول الجاهلية والاسلام
على مثل ذلك ولما نظفوا ذلك الردم وهو اتربة ونقض هدم صار السيل لم تات اخراجه قبل وصول الحجاج وصار ذلك كالآكام والتلول
العظيمة في المسجد الحرام فحضر الحجاج كلهم وشاهدوا ذلك فسبحان من بيده الخلق والأمر لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولما وصل خبر الحريق
لرودس من بلاد النصارى اظهروا بذلك فرحا واستبشارا وتظاهروا بالزينة وضرب النواقيس فلم يمض ذلك اليوم الا وقد ارسل الله عليهم
زلازل عظيمة هدمت عليهم جانبا من سور البلد والكنيسة وكثيرا من دورهم وهلك منهم بذلك خلايق لا يحصون ودامت الزلازل
عليهم اياما شاهدت ذلك في كتب وردت من ثغر اسكندرية بخط من يعتمد عليه وذكروا ان المخبر لهم بذلك اهل المراكب الواردة
من رودس المذكورة وانهم سافروا والزلازل مستمرة بها وهم يخرجون الموتى من تحت الهدم بعد انتقال من بقي الى خارج البلد فتامل
هذه المعجزات النبوية والآيات الربانية ولما وصل قاصدا الى مصر المحروسة واتصل علم الحريق المذكور بسلطانها اعظم ذلك عليه
وبرزت اوامره الشريفة بالمبادرة الى تنظيف المسجد الشريف وراى ان في تأهيل الله تعالى له لعمارة ذلك مزيد التشريف وكمال
التعريف وانه كرامة من الله تعالى اكرمه بها وذخيرة يرجو الفوز بسببها فاستقبل امر العمارة بهمة تقلو الهمم العلية ورسم بإبطال
عمائر المملكة وبتوجه شاد عمائرها السيفي الأمير سنقر الجمالي صحبة الحاج الأول بزيادة على ماية صانع من البنائين والنجارين والنشارين
والدهانين والحجارين والنحاتين والحدادين والمرخمين وغيرهم وكثير من الحمير والجمال وصحبته وصحبة اخيه المقر الأشرفي الشمسي
شاهين والأمير قاسم الفقيه شيخ الحرم الشريف مبلغ عشرين الف دينار وشرع السلطان في تجهيز الآلات والمؤن حتى كثرت
في الطور والينبع والمدينة الشريفة ثم جهز متولي العمارة الأولى بالمدينة الشريفة وهو الجناب العالي الخواجكي الشمسي شمس
الدين ابن الزمن في اثنا ربيع الأول وصحبته اكثر من مائتي جمل ومن ماية حمار وازيد من ثلاث ماية من الصناع اهل الصنايع
الأولى وغيرهم من الجمالين وللسفن والسباكين والجباسين واصرفوا لهم نشيئا من الأجرة قبل سفرهم وقد صارت اصناف المؤن متواصلة
قبل ان تقطع برا وبحرا واستقبلوا امر العمارة بجد واجتهاد فهدموا المنارة الرئيسية التي اصابها الحريق الى اساسها وهدموا من سور

المس

٢٠٩ بلغ

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)